العمل الصيفي

رواية "أم سعد " للكاتب /غسان كنفاني ٢٠٢١-٢٠٢٢

الصف الحادي عشر

رواية "أم سعد" للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني

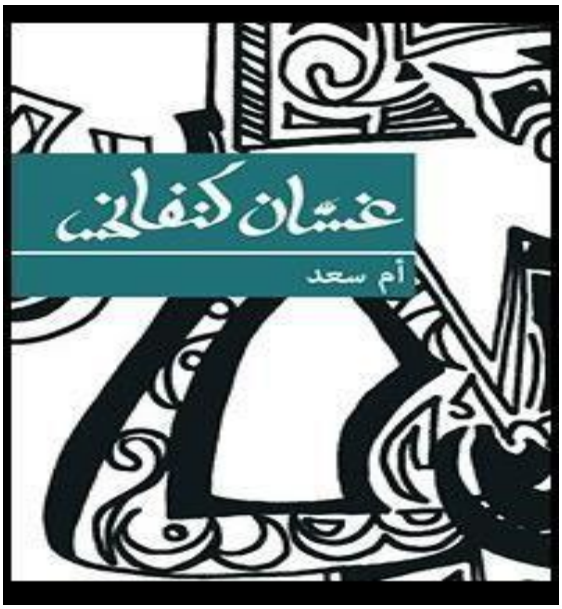

عن الكاتب / غسان كنفاني

لم يكن غسان في الحقيقة يكتب عن فلسطين كموضوع، وإنما كان بالأحرى يكتشف فلسطين من خلال أحداث حياته اليومية. كما أنه لم يكن يكتب من أجل تمجيد التجربة الفلسطينية، وإنما على العكس كان يكتب للكشف عن تناقضات تلك التجربة الصعبة. وقد كان قادرًا على تأدية هذه المهمة الثورية لأنه عاش فعلاً التناقض والصراع اليومي في حياته الخاصة بشجاعة وصدق وتصميم. عاش في ظل الوحشة والعذاب، مع الجمال والحب، وكتب... وكتب... إلى أن ابتدع أسلوبًا عبر عن تجربته، ذلك الأسلوب المتوهج الذي يعطيك صدقية الحقائق، وصدمة الخبر، وحرية الحلم، وأعماق فلسطين..

كان غسان يعمل. لقد عمل خلال حياته في ست صحف، وكان رئيسًا للتحرير في ثلاث منها. وبلال، الذي عمل معه في أكثر من واحدة من هذه الصحف، يعرض بالتفصيل رتابة عمل غسان اليومي. عشر ساعات، أوأكثر، كان غسان يمضيها في كتابة المقالات والتعليقات والأخبار. وبعد منتصف الليل كان يرسل الجريدة للطباعة، وبدلاً من أن يذهب إلى المنزل كان يجلس لممارسة الكتابة الحقيقية، صوغ القصص،وفي مخيلته المادة الخام التي تراكمت خلال النهار. وكان يبحث فيها عما وراء الفوضى والاضطراب، ويحاول أن يكتشف العلاقة بين ما مضى وما سيأتي. وهذا التطلع الدؤوب والمتواصل إلى الاكتشاف هو ما مكنه من إنجاز ما سعى لإنجازه. لقد عاش ٣٦ عاما فقط ،لكنه خلف وراءه مجلد روايات، ومجلد قصص قصيرة، ومجلد دراسات سياسية ومقالات نقدية أدبية .كل هذا بالإضافة إلى عمله بوقت كامل في الصحافة، وإلى نشاطاته

السياسية كعضو في المكتب السياسي للجبهة الشـــعبية، مع التنويه بأنه قبل أن يبلغ الثلاثين كانت اثنتان من رواياته ضـــمن قائمة الكتب المقررة في الكليات الأدبية في الجامعات العربية الرئيســـــية. كل ذلك في عمر لم يزد على ٣٦ عاما.

في عام النكبة كان كنفاني ما زال طفلا لا يتجاوز *12* عاما، ولكن بعين الطفل استطاع ان يلتقط اللحظة ويعبر عنها بجرأة، كيف لا وهو الذي عاشها وأصبح لاجئا في لبنان .يطلب منه أبوه في *15* أيار الخروج فجيوش الدول العربية ستدخل، وسيعودون، ولكن تحول المشهد الى مجرد ركض ولهاث وراء السيارات التي اعتقدوا خطأ أنها ذاهبة لرأس الناقورة، ولم يكن لا دخول للجيوش ولا عودة للاجئين. هنا يلتقط كنفاني اللحظة ويكثفها " وانتهت السيارات فجأة.. وعدنا للدار منهوكين نلهث بصفير خافت.. وكان أبوك صامتا لا يتكلم، وكنا نحن أيضا لا نقوى على الكلام.. وعندما أضاءت وجه أبيك سيارة عابرة كانت الدموع تملأ وجنتيه... بعدها، مضت الأمور ببطء .. لقد خدعتنا البلاغات ثم خدعتنا الحقيقة بكل مرارتها "
(كنفاني، مصدر سابق: *370*)
فيما حاولت الدول العربية أن تبرر الهزيمة وتقتسم ما تبقى حيث ألحقت الضفة الغربية بالنظام الأردني فيما قطاع غزة ذهب للسيطرة المصرية. كان الفلسطيني في مواجهة مباشرة مع الحقيقة، أن لا عودة وأن الجيوش العربية قد خذلته، هي لحظة المرارة بالنسبة لكنفاني. المرارة هي اللحظة والسمة التي ستدمغ كتاباته حتى انطلاق المقاومة الفلسطينية.

عن الرواية /أم سعد

أم سعد... لحظة تاريخية من النقد الذاتي واقتران الثوري بالطبقي. منذ اللحظة الاولى كنفاني يشهر انحيازه الطبقي وموقفه عندما يكتب في الإهداء: " إلى أم سعد، الشعب المدرسة". لم تعد الهزيمة لها طعم الذل، الطعم اليوم المقاومة وليست أية مقاومة إنها الشعب. ومنذ الكلمات الأولى للرواية يعلن كنفاني لحظة حقيقة تاريخية أخرى، إن الواقع المعاش والحقيقة والمدرسة هي الجماهير المسحوقة في المخيمات :" لقد كان صوتها بالنسبة لي هو صوت تلك الطبقة الفلسطينية التي دفعت ثمن الهزيمة غاليا.. والتي تقف الآن تحت سقف البؤس الواطيء في الصف العالي من المعركة، وتدفع وتظل تدفع أكثر من الجميع". هذا الانكشاف في لحظة يعكس ليس فقط حقيقة أن الجماهير الفلسطينية الكادحة واللاجئة هي التي تدفع الثمن ،ولا عجب أن المقاومة الفلسطينية تركزت في المخيمات، ولكن هي لحظة انكشاف يعترف فيها الفلسطيني المثقف بأن تشاؤم عقول المثقفين وترددهم، هو نقيصة أمام الفقراء والكادحين الذين لا يملكون ولا يربون على الأمل حسب تعبير محمود درويش. وصوت المثقف دائما حاضر في روايات كنفاني فهو سعيد س .وهو الأستاذ في اطفال غسان كنفاني، واليوم هو ابن العم في أم سعد.

ففي الوقت الذي يعيش فيه انقباض وترقب وحالة من التوتر بسبب القصف أم سعد تأتيه بعرق داليه ناشف، وفيما هو غير الخبير بالأرض والزراعة وانما بالكتب ومتابعة الأخبار لايرى فيه إلاعودا ناشفا، تدرك أم سعد بخبرتها وانتمائها للأرض أن الدالية لا تحتاج لكثير من الماء وستبرعم.

في رواية "أم سعد" لا يوجد مواربة لأية لحظة تاريخية هي رواية تحريضية بجدارة وهي رواية تعلن عن انتماء صاحبها وموقفه الطبقي والثوري. وهي تبشر بالمقاومة كطريق للتحرير ، وهي تنتقل من انتظار أن تفتح البوابة كما في عائد إلى حيفا، إلى فتح البوابة ومن الجهة التي يعتقد كنفاني أنها يجب أن تفتح ..من الحدود وعبر النضال، حيث يتسلل سعد ورفاقه في أولى عملياته العسكرية إلى الأرض المحتلة – فلسطين.

هي تحريضية حاسمة لا تحتمل اللون الرمادي، لونها بلون النضال وتعلن عن لحظة تاريخية يأخذ بها المكان والزمان بعدا آخر، على لسان أم سعد يقول كنفاني " خيمه عن خيمه بتفرق" لم يختلف النقاد والدارسين على تفسيرها فخيمة اللجوء ليست كخيمة الفدائيين، هذا صحيح ولكن في وضوحها السهل الممتنع، فهو ليس مجرد فرق بل هو اختصار اللحظة التاريخية بين النكبة واللجوء وبين التمرد والثورة ، بين أن تكون لاجئا ذليلا في الدول العربية تعمل وتنافس على لقمة العيش، وينظر إليك كغريب، وبين أن تنفض الهزيمة وتواجهها بحسم نحو التغيير ليس الفردي – الصحراء والخزان، وإنما الجماعي- النضال والمقاومة. بين أن تنتظر لكي تأتي الجيوش العربية، وبين أن تقوم أنت لتخترق الحدود. بين أن تظل طيلة "عشرين عاما.. تصحو وتقول يارب". وبين أن يحسم الفلسطيني نفسه ويلتحق بالنضال" إذا لم يذهب سعد فمن سيذهب *!!!*"..

أم سعد ليست ككل النساء اللواتي نقرأ عنهن بالروايات، وأم سعد ليست مجرد امرأة فلسطينية، هي صوت كنفاني وانحيازاته الطبقية والاجتماعية. لم يأتِ المخيم بروايته عابرا ولم تكن أم سعد خيارا عشوائيا، كان انحيازا فكريا ايدولوجيا نحو الطبقة الكادحة ونحو المرأة . عندما انطلقت فصائل المقاومة كانت أهم شعاراتها كل الجماهير في المعركة النضالية، فقامت فتح على سبيل المثال بعقد دورات أمية سلاح في المخيمات الفلسطينية في لبنان في العام *1969*)أبو دحو ،*2005*(. وفي هذا العام أيضا كانت أمنيه دحبور وليلى خالد ورفاقهم من الجبهة الشعبية يخطو الدرب إلى مدرج الطائرة بتوجيه من وديع حداد ، فالجبهة الشعبية تبنت الفكر الماركسي والذي يؤمن ليس فقط بتحرير فلسطين، ولكن أيضا بالتحرر الاجتماعي والمرأة على رأس هذا الهرم من التحرر. فليس صدفة أن يختار كنفاني المرأة وهو

المنحاز لها منذ بداية رواياته وهي التي تحملت صدمة النكبة أكثر مما تحمل رجالها)أرض البرتقال الحزين.

هي أم سعد، امرأة، ومن المخيم، وكادحة، تعمل من أجل أن تعيل أطفالها فيما أبو سعد زوجها ما زال يتجرع ويلوك مرارة الهزيمة ويهرب نحو الدخان والقهوة. لم تتعلم ولكن لديها من التجربة الحياتية ما يضع ابن عمها- كنفاني في خانة المتردد والجبان أمام خياراتها الطبقية والثورية والاجتماعية. فأم سعد ترفض أن تتسبب في طرد امرأة لبنانية من العمل فوحدة الهم الطبقي فوق أي اعتبار، وكأن في حالته يصرخ كنفاني " يا عمال العالم اتحدوا". كيف "تقطع رزقها" كلبنانية فقيرة، ولنا أن نذكر "أم سعد" كتبت في نفس العام الذي ساند به اللبنانيون التقدميون الثورة وساهموا بإشهار علانيتها. أم سعد تدرك أن ذهاب سعد للمقاومة سيجعلها ترى فلسطين من جديد ويتغير واقع الحال، بل وتذهب أبعد من ذلك تود لو تشارك الفدائيين عيشتهم. وأخيرا أم سعد، تغيرها الثورة ولكن بشكل فطري ولا يحتاج لكل معادلات ابن العم المثقف الذي يحسبها وفقا لتصريحات الراديو!! فتقرر أن تغير حجابها من أيام فلسطين بحجاب جديد- رصاصة أرسلها لها سعد من معسكره. أما أهم لحظة يعود فيها كنفاني مرة اخرى لأيام فلسطين فهي لحظة المقارنة بين جيل الآن والجيل السابق، بين سعد يحمل السلاح، وبين كل تلك القيادات والمخاتير التي لم تحرك ساكنا، بل إن تحركت فلكي تجهض عمل المناضلين.

يبدأ غسان كنفاني روايته الملحمية "أم سعد" التي تدور أحداثها في أحد مخيمات اللاجئين "مخيمات الفقر و الشقاء والبؤس". وما أم سعد إلا صوت الشعب الفلسطيني وجماهيره الغارقة في الفقر والعجز والانكسار. ونحن هنا نستعير منه هذا الصوت لنتتبعه في لوحاته التسع التي تشكل الرواية. المخيم، واحدة من الكلمات المفتاحية التي تتمفصل حولها هذه الرواية ..

وللمخيم في إبداع كنفاني حضور وافر. وتجلياته لا تقتصر على كونه الرحم الثوري الذي ينجب المقاتلين ويحافظ على وتيرة العمل النضالي عالية.. بل يرتدي في أعماله دلالات شتى: هو وعاء الرفض الذي يحبل بالإرادة والقوة، وهو المكان الذي تتهيأ في داخله بشارات النصر والأمل، وهو النقاء الثوري الأصيل الذي يرفض الاستلام والمساومة والهزيمة ورموز العمالة والتذلل للأجنبي، ويدين العجز والذين لا يعملون ولا يدعون غيرهم يعمل، ولعلّ هذا المعنى يتضح أكثر مما يتضح في موقف المساجين من المختار الذي ذهب ليطلب منهم التوقيع على وثيقة تفيد بأنهم (أوادم) فضحكوا منه وعاد خائبًا خالي الوفاض ،وأكملت أم سعد الموقف عندما أخبرته أن دوره انتهى وحان دورهم. و(الأوادم) في عرف غسان والعرف الفلسطيني تطلق على الذين يقبلون التنصل من الفعل الثوري والوطني من الثائرين مقابل الإفراج عنهم أو عدم ملاحقتهم إن كانوا خارج السجن. لكن غسان يذهب في الدلالة إلى أبعد من ذلك، إنه يعمم المفردة لتصف حالاً عامة وضعها على لسان أم سعد التي أجابت عندما قيل لها: إن هذا

سيضر سعد "المحبوس"، قالت: الجميع وقعوا بطريقة أو أخرى على أنهم (أوادم)، ولكنهم لم يخرجوا من الحبس، وظلوا محبوسين داخل جدران حبس كبير يتمثل في المخيم، والراديو، والجريدة، والعشرين سنة الماضية، كلها حبس، حبس كبير لن يخرج منه غير سعد "المحبوس". كيف؟ سيتخطى الحدود ـ هكذا تجيب أم سعد ـ والحدود هنا لا تحمل المعنى التقليدي للكلمة، بل تتجاوزه إلى العلاقات التقليدية الرئيسية التي تتحكم فينا، الزوجة، الأولاد، البيت، الدفء، الطعام، الكتب، كل هذه حدود ولا بد أن نخرج منها إذا أردنا أن نتخلص من سطوتها، ولهذا أطلقت أم سعد نبوءتها "اسمع ... أنا أعرف أن سعدا سيخرج من الحبس. الحبس كله! أتفهم؟". ويخرج سعد من البؤس والتعاسة إلى التحدي وتشجعه أم سعد لأنها تدرك ضرورة ذهابه "إذا لم يذهب سعد فمن سيذهب؟". صحيح أن (المخيم) حبس معنوي ومادي، وصحيح أنه يغوص في الوحل لكنه لا يغرق فيه أبدًا.

من هنا يبدو خزان الأمل والتفاؤل الثوري والبوصلة التي يهتدى بها عندما تصبح الرؤية ضبابية ذلك أنه علامة الجرح والنضال الذي تتوارثه الأجيال والذي يجعل من الثورة الميلاد الحقيقي للإنسان. ولا يقتصر دور المخيم على الأمل بل يتعداه إلى حيز الفعل، وعندما تحاصر الثورة ينقذها من الحصار، فعندما حاصر الجند سعدا ورفاقه خرج لهم المخيم على صورة امرأة آتية من رأس الشارع، رأى فيها سعد صورة أمه، فناداها "يا يما" ولبت نداءه وظلت تطعمهم لعدة أيام متتالية، إلى أن ذهب الجند وانتهى الحصار. انه الملاذ الذي توجه إليه المؤلف نفسه عندما صرخ بأم سعد ـ بعد أن روت حكاية سعد ـ قائلاً: يا يما، ولبت أم سعد النداء، وخرجت إلى مكان الانفجار، وعادت بجروح حمراء محفورة بين شقوق يديها المهترئة من التعب والعذاب .

الضريبة المزدوجة في رسم ملامح هذه الشخصية تتبدى موهبة غسان وقدرته على سبر أعماق كائناته الإبداعية. هو لا يكتفي بالوصف الخارجي لشخصية امرأة فلسطينية لم تذهب إلى المدارس. وهو أمر معتاد لدى مبدعين كثر يكتفون بتوصيف رباطة جأش الأمهات وتضحياتهن النبيلة من أجل الوطن التي تبلغ أوجها في إرسال الأبناء إلى الثورة.. بل يصور لنا مع هذا كله البعد الإنساني في الشخصية، الحالة الانفعالية الطبيعية التي لا بد وأن تظهر في موقف كهذا عبر القلق الذي يخالط فرحها بالابن المقاتل. إنه قلق الأم على فلذة كبدها وربما الصراع الخفي بين الأمومة وبين الواجب يتحسسه غسان فيقذف في وجوهنا السؤال حادًا متوهجًا: لماذا يتعين على الأمهات أن يفقدن أبناءهن؟ سؤال وجودي من النوع الجارح، فثمة خيار آخر لا يتوفر للأم الفلسطينية هو أن تحتفظ بابنها في حضنها ليمارس حياته الطبيعية مثل باقي البشر لكنها ضريبة الوطن، وضريبة الحياة التي باتت لا تحتمل في المخيم الغارق في الماء والطين بفعل المطر ،وضريبة المعاناة التي يحملها الشتاء لسكان هذا المخيم. وهي القناعة، وهذا هو الأهم، التي تولدت لديها بعد أن اتضح أن البكاء لم يعد مجديًا، وصار لزاما أن يكون هناك بديل آخر. تقول: "ماذا أقول يا ابن عمي؟ في الليل أحسست بأنني قريبة من النهاية... ما النفع؟ أريد أن أعيش حتى أراها. لا أريد أن أموت هنا في الوحل ووسخ المطابخ... هل تفهم ذلك يا ابن عمي؟".

إلى هنا ويبدو مثل هذا الحوار مألوفا جدًا.. قد يحدث في أي بيت فلسطيني لكن صياغة غسان الفنية له مكنته من اختصار كل الوجع الفلسطيني في هذه الكلمات القليلة وبمثل هذه العفوية والصدق. هي الواقعية التي تميز بها غسان من جهة، وقدرته على رفع الواقع إلى مصاف الفعل الفني من جهة ثانية. الواقعية التي جعلته يتخلى عن كل فذلكة فنية في سبيل أن لا يدع هناك أية مسافة بين الواقع الحضاري والواقع الفني ـ كما يقول إحسان عباس ـ إنه الاكتشاف المذهل للواقع والقفز على العادي من الأمور، والقدرة الفائقة التي جعلته يخلق للأحجار لغة، وللطين نشيدا، ويتغلغل إلى عمق التجربة الإنسانية من دون أن يفقد طابعه الفلسطيني الخاص. لم يختر غسان بطلة روايته عبثًا، بل اختارها من أكثر الطبقات فقرًا في المجتمع الفلسطيني بل وفي مجتمع المخيم نفسه)المجتمع الأكثر فقرًا والأكثر ثورية(عامدًا لكي يؤكد بذلك انتماءه لهذا الشعب ولهذه الطبقة التي عاش فيها ولها، وليجسد التزامه الواعي والجذري بقضيتها، وليدفع هو أيضًا ضريبة ذلك الالتزام الذي كلفه حياته، عندما كتب قصته ـ تمامًا مثل أبطال قصصه ـ بدمه وليس بحبر الكتابة !. النقد الذاتي بصورة مبدعة يستحضر غسان كنفاني الماضي ليس فقط لتفسير الحاضر وما يحدث فيه، بل باعتباره الجسر الذي ينبغي العبور عليه إلى المستقبل .

ولكي يحدث مثل هذا التطهر لا بد من النبش في الذاكرة، ذاكرة التاريخ وذاكرة الناس وخصوصًا ذاكرة الشعب (أم سعد) لاستخراج العبر، وقراءة ما حدث على نحو مختلف. لوضع الأمور في نصابها أو النقاط فوق الحروف. من ذلك، ما حدث أيام فلسطين بين فضل وعبد المولى، فضل المقاتل الشريف النقي الذي كان أول من ضحى، وصعد إلى الجبل حافيًا فتمزعت قدماه، وعندما عاد وجد عبد المولى ـ رجل الشعارات والخطب ـ يخطب والناس تصفق له، فجلس وحيدًا، متعبًا، ممزقًا تعلوه الأتربة، يصرخ من دون أن يسمعه أحد سوى أم سعد التي ظنته بحاجة للماء وعندما اقتربت منه سمعته يقول: "أنا الذي تمزعت قدماه، وهذا الذي تصفقون له"؟. وإذا كانت تناقضات العمل الوطني والنضالي حاضرة في موقف كهذا فإن غسان لم ينس التناقضات المجتمعية ولا الصراع الطبقي الذي شكل جزءًا من فلسفته الشخصية وحاول التعبير عنها في أدبه .

كما لا ينسى غسان أهمية المحتوى الاجتماعي والاقتصادي للتجربة والتي انعكست آثارها على هذه الطبقة، بل يخصص له لوحتين من لوحاته؛ يصور في واحدة منها صراع العمال مع صاحب العمل عندما يسوق قصة أم سعد مع المرأة اللبنانية التي كانت تشطف درج البناية التي يملكها الأجنبي، ثم طردوها من العمل وأتوا بأم سعد لتحل محلها، وعندما علمت الأخيرة بالأمر رفضت العمل مصرحة أن هدفهم ضرب "المشحرين" ببعضهم لكي يوفروا ليرتين، وليس هذا فقط ما أراد تأكيده بل أراد أن يوضح أن الاضطهاد السياسي يرافقه اضطهاد اجتماعي واقتصادي، وأن هذا الاضطهاد لا يفرق بين العمال أينما وجدوا، أما الأمر الآخر الذي أراد أن يشير له فهو ذلك التلاحم المصيري الذي يربط بين المضطهدين (بفتح الهاء) في كافة البلدان .

وإذا ما أردنا الذهاب أبعد في تحليل مثل هذا الموقف ربما نتساءل: ألا تبدو هذه الحكاية إشارة مبكرة إلى رفض الفلسطينيين للتوطين ومشروع الوطن البديل؟. هل هي القدرة الاستشرافية التي تحلى

بها غسان أم هو الوعي الجذري والمبكر بالقضية الفلسطينية الذي يوصل إلى هكذا استنتاجات؟ أيًا كانت الإجابة، ثمة ما يشير في هذه الرواية وفي غيرها من روايات غسان إلى حضور الوعي لدى شخصياته ، سلوكا وخطابا وممارسة .

في السياق نفسه، يأتي النقد الذاتي الذي رأى فيه غسان سببًا آخر لتحقق الوعي، ويظهر هذا جليًا في موقفه من بعض الممارسات الاجتماعية والاعتقادات الخاطئة التي تغيب الوعي وتسلب الإرادة، والتي يطرح الثورة كبديل لها. على سبيل المثال لا الحصر، تستبدل أم سعد حجاب الدجالين الذي علقته في صدرها منذ كان عمرها عشر سنوات بحجاب سعد "رصاصة نسيها عندها في زيارته الأخيرة لها" في إشارة إلى ضرورة التسلح بالوعي والثورة. يتغير أبو سعد بفضل الثورة أيضًا، يتحول من رجل سكير إلى رجل حقيقي، كما تتغير معاملته السيئة لزوجته بعد أن كان يفرغ ما يتعرض له من قمع وكبت بها وبالأولاد ولم يستطع أن يفعل غير هذا وهو مدعوس بالواقع، بالمخيم، والفقر، وكرت الإعاشة، وتقبيل بسطار الحكومة.

تغير بعد أن اشتعل المخيم ورأى ابنه سعيدا في ساحته يعلم أقرانه كيف يتفادون الطعنة، لقد تحسن بعد ذهاب سعد إلى هناك، وتحسن أكثر بعد انضمام سعيد لهم، وخلق من جديد عندما ولدت الثورة. تتذكر أم سعد، يتذكر الشعب، تتوالد الدروس والعبر التي تضع القارئ في قلب الفكرة. وأهم هذه الدروس أن استشرافات غسان للفعل النضالي الفلسطيني لا تقتصر ولا ينبغي لها أن تقصر على (ثورة بعينها) لأن مثل هذا الفهم يفرغ الرمز من محتواه ودلالاته المستقبلية، وهذا يتنافى مع فكر غسان وقراءاته وحتى تنظيراته في كتبه الأخرى. وفي اللحظة التي يخيل فيها للقارئ أنه وصل إلى نهاية الذكرى يعود به المؤلف إلى البداية الأولى، إلى الحاضر الذي بدأ منه ولكن من نقطة جديدة، وكأنه يريد أن يبرهن أن التاريخ يسير إلى الأمام حتى وإن بدا أنه يسير بشكل حلزوني أحيانًا، لأنه في هذه الحالة لا يعود إلى نفس النقطة بل يرتقيها إلى الأعلى، وهكذا يتحقق التواصل بين الماضي والحاضر، وتثمر سنوات الكفاح فتصرخ أم سعد "برعمت الدالية يا ابن عمي، برعمت "فيطل ليرى للعود اليابس رأسا أخضر يشق طريقه في عنفوان له صوت"... هل من خبر عاجل يبشرنا بأن الرأس الأخضر ما زال هناك ...وأن "الدالية" التي ذبلت أوراقها وانطمرت تحت وقع التسويات والمساومات "برعمت"؟.

تنتمي الرواية للأدب الفلسطيني الثوري حيث تتقاطع أفكار رواية أم سعد مع تلك الأفكار التي طرحها غسان كنفاني في روايته الرائعة "عائد إلى حيفا" في الدعوة إلى ترك التباكي على الماضي ، و انتظار الحلول السحرية من الخارج ، و التوجه إلى صنع المستقبل بالسواعد و القوة و انتزاع الحق المسلوب بالنار و الدماء.

تقدم الرواية قصة الانقلاب في حياة أم سعد المهجرة التي تعيش الضنك و الحرمان في مخيمات اللجوء الفلسطيني في إحدى البلدان العربية و تعمل خادمة في المنازل بعد قيام الثورة الفلسطينية كردة فعل على هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ ، حين يقرر ابنها سعد اقتحام حدود فلسطين المحتلة فيمنعه حراس الحدود ، ليقرر بعدها الالتحاق بالفدائيين .

تبدأ أحداث الرواية عند لحظة الخيبة الكبرى مع هزيمة ١٩٦٧عندما تظهر أم سعد أمام منزل الرواي - و هو الفلسطيني المثقف الذي يعيش خارج المخيم وتعمل أم سعد في منزله - حاملة عودا يابسا من العنب تريد أن تزرعه في حديقة منزله. تحكي أم سعد للمثقف راوي الحكاية عن خبر اعتقال ابنها سعد بعد فشل محاولة تسلله للحدود الفلسطينية المحتلة ، ثم تعلمه مفتخرة بأنه قرر بعد خروجه ألا يعود إلى المخيم حيث سيلتحق بالفدائيين و يقوم بعمليات في فلسطين المحتلة.

تتحرك الرواية لتضع القارئ أولا أمام حياة الشقاء و القسوة التي يعيشها أهل المخيم بشكل عام و أم سعد بشكل خاص ، ثم إلى الانتقال التدريجي و التغيرات التي تشهدها أم سعد و عائلتها بل و المخيم بالكامل بعد أن يصبح شبابهم فدائيين يحملون البنادق و يحاربون العدو ، فأم سعد مثلا تستبدل الحجاب الذي تعلقه على صدرها و الذي حملته منذ كانت في العاشرة بحجاب آخر هو رصاصة من الرصاصات التي تركها سعد في إحدى زياراته للمخيم. و أبو سعد الذي كان ضيق الصدر بكل ما حوله أصبح أكثر ليونة بعد أن شهد التغيرات في مجتمع المخيم بعد الثورة الفلسطينية تقول أم السعد للرواي في أحد المشاهد محللة التغيرات التي مر بها زوجها قائلة:
" الفقر يا ابن العم الفقر ... الفقر يجعل الملاك شيطانا و يجعل الشيطان ملاكا، و ما كان بوسع أبو سعد أن يفعل غير أن يترك خلقة يطلع و يفشه بالناس و بي و بخيالة ؟ كان أبو سعد مدعوسا ، مدعوسا بالفقر ، و مدعوسا بالمقاهرة ، و مدعوسا بكرت الإعاشة ، و مدعوسا تحت سقف الزينكو ، و مدعوسا تحت بسطار الدولة ... فماذا كان بوسعه أن يفعل ؟ ذهاب سعد رد له شيء من روحه و تحسن يومها قليلا، و حين رأى سعد تحسنا أكثر ، أكثر بكثير . رأى المخيم غير شكل ، رفع رأسه ، صار يشوف ... "

أخيرا تنتهي الرواية و على خلاف رواية " رجال في الشمس " أو رواية " عائد الى حيفا " بلمحة أمل جميلة، ففرع العنب اليابس الذي زرعته أم سعد في حديقة الرواي في بداية الرواية و الذي اعتقد الرواي أنه يستحيل أن ينبت شيئا لشدة يبسه برعمت أوراقه في نهاية الرواية " و خطوت نحو الباب حيث كانت أم سعد منكبة فوق التراب، حيث غرست- منذ زمن بدا لي في تلك اللحظة سحيق البعد - تلك العود البنية اليابسة التي حملتها إلي ذات صباح، تنظر إلى رأس أخضر كان يشق التراب بعنفوان له صوت ".
بهذه الكلمات المعبرة ينهي غسان كنفاني روايته القصيرة أم سعد .

الرواية بطبعتها الجديدة نشرت عن دار منشورات رمال بالتعاون مع مؤسسة غسان كنفاني الثقافية ضمن مشروعهم لإعادة نشر كتابات الأستاذ غسان كنفاني ،٢٠١٣م . تقع الرواية في ٧٦ صفحة.

مناقشة:

1- العناصر الفنية في الرواية :

أ- الأحداث: لخص أحداث الرواية.

ب- الزمان و المكان : حدد ملامح الفضاء الزماني و المكاني في الرواية.

ت- الشخصيات : اذكر الشخصيات الرئيسة و الثانوية في الرواية.

ث- الأسلوب : تناول اللغة و عناصرها كما وردت في الرواية.

2- كيف صور غسان كنفاني المرأة في رواية (أم سعد) ؟

٣- تناول شخصية كل من : المجاهد المنتمي لوطنه ، و الخائن اللا منتمي كما عرض لهما غسان كنفاني في الرواية .

٤- اختر أحد الرموز في الرواية بالتحليل و التفصيل.

٥- اختر ثلاث جمل مؤثرة في الرواية و اكتب تبريرا لاختيارك لكل منها.

6- لماذا تشعر أم سعد بما تشعر به حيال تصريح ابن عمها؟

- تشعر بالحرية في القيام بما تريده الآن.
- تشعر بالراحة من عبء الأمومة.
- يحزنها على التفكير في الأمهات يمكن الاستغناء عنها بسهولة.
- تشعر بالخجل من ابنها.

7- ماذا تقول أم سعد إن على القائد أن يفعل؟

- رعاية سعد.
- إرسال سعد إلى الحرب.
- تهذيب سعد.
- إرسال سعد إلى المنزل.

8- ماذا قررت أم سعد أن تفعل؟

- تتخلص من ابنها.
- تتخلص من طفليها الآخرين.
- تنضم إلى المجهود الحربي.
- تدعم ابنها.

***9-* ما المشاعر التي تشعر بها أم سعد عندما تسأل ابن عمها السؤال الأخير؟**

- الحب.
- الفرح.
- الحيرة والعذاب.
- الغضب.

***10-* في "أم سعد" : صف الطرق العديدة التي تظهر بها أم سعد حبها الشديد لابنها سعد.**

***11-* ما هو الصراع الرئيسي في "أم سعد" بقلم غسان كنفاني؟**

***12-* ما هي نبرة المؤلف في رواية "أم سعد" لغسان كنفاني؟**

13- كيف يستخدم المؤلف التحذير في الرواية ؟

14- من هو البطل الحقيقي في الرواية ؟ و لماذا ؟

15- ما هو أسلوب المؤلف في رواية "أم سعد" " لغسان كنفاني ؟

16- ما هي القضايا التي تطرحها رواية "أم سعد" لغسان كنفاني؟

17- من نوع الصراع / الصراعات في رواية "أم سعد" لغسان كنفاني؟

18- من كتب رواية" أم سعد" ؟ ماذا تعرف عنه ؟

19- كيف استخدم غسان كنفاني التصوير في رواية "أم سعد " ؟